جدلية التاريخ والعلم

أ.م.د. زروخي الدراجي

الجزائر/ جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

dzerrokhi@yahoo.fr

الملخص:

يتميز البحث العلمي بالدقة و المنهج و الموضوعية، و يتطلب كثيرا من الاهتمام و الحذر، و يستدعي جهودا متواصلة وقدرة كبيرة على التخيل و المثابرة و التحكم في الذات، و الإنسان قبل أن يمضي إلى البحث العلمي المعروف بشكله الحالي، مارس نوعا آخر من التفكير، هذا التفكير يعرف بالتفكير الفلسفي. و إن حكمت على التفكير العلمي بأنه تفكير منظم و موحد، فهذا لا يعني أن التفكير الفلسفي خال من التنظيم. بل هو تفكير يخضع لمقاييس منطقية، و يراعي اتساق المقدمات مع النتائج لكن التفكير الفلسفي يعطي أكثر حرية للعقل و أكثر تحررا من الضوابط ، و يمتاز بنوع من الشمولية و انفصال التفكير العلمي جاء بعد نضج المناهج العلمية التي تولت عملية تقنين الظواهر و تفسيرها ، و كانت البداية في التفكير العلمي و الأسبقية للعلوم الطبيعية التي تناولت الظواهر الفيزيائية الواقعية وهذه الظواهر اتخذ علماؤها المنهج التجريبي سبيلا لفهمها، و تفسيرها، وبعد النجاح المذهل الذي حققته العلوم الطبيعية ، حاول بعض العلماء و المفكرين تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الظواهر التاريخية . فاستقل بذلك علم التاريخ عن الفلسفة ، غير أن موضوع الدراسة في هذا العلم يختلف عن موضوع الدراسة في العلوم الطبيعية، فهو أكثر تعقيدا و تشابكا، وهذا ما جعل الدراسة العلمية في الظواهر التاريخية تعرف عدة عوائق إبستمولوجية حالت دون تقنين الظاهرة التاريخية ، مما استدعى التشكيك في قيمة علم التاريخ و قدرته على تفسير ظواهره تفسيرا علميا بعيدا عن التفسير الفلسفي ام انه على الدراسات التاريخية ان تعود الى حقل الفلسفة من جديد . وهذا ما حاولت توضيحه من خلال هذا المقال الذي يتناول المشكلة الآتية : **هل التزمت الدراسات التاريخية بالطابع العلمي القانوني ودخلت دائرة العلم ؟**

الكلمات المفتاحية: الجدلية، التاريخ، العلم، القانون العلمي، العقلانية، الموضوعية، المنهج، التفكير الفلسفي، الظاهرة التاريخية.

The dialectic of history and science

Dr. Darradji Zarroukhi Lecteurer

College of Humanities and Social Sciences

Algerian / University of Msila

Abstract:

Scientific research is characterized by rigor, methodology and objectivity, and requires a lot of attention and care. It calls for continuous efforts and great ability of imagination, perseverance and self-control. But before the develloping the scientific approach in its current form, mankind used another kind of thinking, known philosophical thinking . If the scientific thinking is judged as organized and unified thinking, this does not mean that philosophical thinking is unorganized. It is a thinking subject to logical standards, and take into account the consistency of introductions with the final results. Moreover, the philosophical thinking gives more freedom to the mind and less constrained by the standard and controls and it is characterized by a kind of totalitarianism. The separation of scientific thinking came after the maturity of scientific methods, which rationalized and quantified the phenomena and their interpretations. The maturuty of the scientific thinking comes from the succes of natural Sciences, which dealt with realistic physical phenomena and it based on scientistic experimental approach as a way to understand and interpret physical phenomena. After the stunning success of the natural sciences, some scientists and thinkers try the application of the experimental methods in the study of historical phenomena which led to the separation between the history of the philosophy. However, the history subjects differ from those of the natural sciences. they are more complex and interconnected, and this is what made the scientific study of the historical phenomena known several epistemological obstacles preventing the rationalization of the historical phenomena, driving a skepticism in the value of the science of history and its ability to interpret historical phenomena using only scientific explanation without the philosophical interpretation. or is it that historical studies should return to the field of philosophy. This is what I tried to explain it through this article that addresses the following issue: Did the historical studies respect canonical scientific approach؟

Key words : dialectic , history , science, canonical scientific, rationalization , methodology , objectivity, the philosophical thinking, historical phenomen.

المقدمة:

على الرغم من أن علم التاريخ انفصل عن الفلسفة و أصبح علما قائما بذاته، إلاّ أن الشكوك قامت حول هذا العلم ، و لم يكتسب علم التاريخ المصداقية العلمية لافتقاده لخصائص العلم و الروح العلمية و احتواء دراسته على جانب كبير من الفلسفة ، وما يؤكد ذلك تأخر علم التاريخ في انفصاله عن الفلسفة ، و سنبين من هذا الطرح مجمل الصعوبات التي جعلت علم التاريخ يفتقد نوعا ما للمعايير العلمية التي تتمتع بها العلوم الطبيعية و المتمثلة أساسا في القانون العلمي ، و ارتباط الدراسات التاريخية بالفلسفة ، و هذا ليس انتقاصا من قيمة علم التاريخ ، وإنما إشادة بصعوبة دراسة الظاهرة التاريخية دراسة علمية ، واعتراف بالمجهودات الجبارة التي يبذلها علماء التاريخ من اجل بناء الحقيقة التاريخية. ومما لا شك فيه أن الحقيقة و ليدة المنهج و الحكم على فعالية المنهج تتأتى من تحصيل نتائج عادة ما تستقر هذه النتائج في صورة قوانين ، بحيث تعكس هذه القوانين حقيقة الظاهرة، فهل بلغ علم التاريخ هذا المقصد ؟

١ . القانون في التاريخ :

لا يختلف اثنان في أن العودة إلى الماضي، و التنقل عبر الأبعاد الزمانية خاصية جوهرية و صفة نوعية تميز بها الإنسان من غيره من الكائنات ، وعودة الإنسان إلى الماضي ليست من قبيل الهروب من الواقع. بل هي عودة مقصودة في محاولة جادة لفهم الذات ، ذلك أن الإنسان الذي يعود إلى ماضيه يحدد نقطة الانطلاق ومن ثم يدرك مبتغاه . فالتاريخ هو مرآة الإنسان **<< فإذا كان الإنسان المدون للتاريخ مثقفا جدا ، فإنتاجه التاريخي سيكون مرآة لثقافته و قدرته العقلية >>.**[١]

إن الإنسان هو موضوع التاريخ ، وهو صانع التاريخ أيضا ، وهو المدوّن له، وما يجعل الإنسان يدخل في هذه العلاقة هو اجتماعية الإنسان ، و اجتماعية التاريخ أيضا ، فالإنسان من خلال التاريخ يتعرف على علاقته بالآخرين الذين سبقوه . فهو لا يستغني عنهم لأنهم الأصل لفرعه، لذلك تصبح الحادثة التاريخية حادثة اجتماعية .

لكن علماء التاريخ لا يريدون العودة إلى الماضي بطريقة فوضوية ، بل يريدون لهذه العودة أن تكون مؤسسة تأسيسا منهجيا و قانونيا ، لأنّ الدراسات العقلانية تؤكد أن القانون هو هدف المنهج وحصيلته ، فالقانون يعبر عن الدقة واليقين وهذا ما سعى إليه بعض المفكرين ، كابن خلدون و فيكو وغيرهما ، إذ حاولوا جاهدين تقنين الظاهرة التاريخية ، و رسم معالم ثابتة للحقيقة التاريخية .

إن فكرة القانون في التاريخ تظهر في المنهج الخلدوني من خلال المراحل التي رسمها ابن خلدون لعمر الدولة ، والتي شبهها بعمر الإنسان ، وقسم ابن خلدون قيام الدولة و استمراريتها على أربع أقسام أو أجيال.

. الجيل الأول:

في اعتقاد ابن خلدون هو الجيل الذي ينشأ على البداوة و الخشونة ، و هذا الجيل يسلك سلوكات طبيعية حيوانية بعيدة كل البعد عن السلوك الإنساني الحضاري يقول ابن خلدون << **لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة و خشونتها و توحشها من شظف العيش و البسالة و الافتراس و الاشتراك في المجد** >>[٢] .

هذا وأكد ابن خلدون أن عمر كل جيل من الأجيال يقارب الأربعين عاما، مستندا إلى قصة بني إسرائيل كما ذكرت في القرآن الكريم ، و ذلك لما إقترفوه من فساد ، وهذه المدة ستكون كافية لإحداث قطيعة بين الجيل الأول و الجيل الثاني و بين الفساد و الإصلاح .

. الجيل الثاني :

بعد جيل البداوة يأتي جيل الحضارة، إذ يتخلص هذا الجيل من العصبية التي كانت صفة في الجيل الأول ، و يتخلى عن حياة الخشونة والترف إلى الاستقامة و ضبط السلوك ، وتنظيم العلاقات بين الأفراد ، فيكون هذا لجيل أساسا لقيام مجتمع موحد تسيطر فيه سلطة العقل، يقول ابن خلدون **<< و الجيل الثاني تحول حالهم بالملك و الترفه من البداوة إلى الحضارة و من الشظف إلى الترف و الخصب و من الإشتراك في المجد إلى إنفراد الواحد به >>**[٣].

. الجيل الثالث :

دخلنا في الجيل الثاني إلى عالم الوعي و المنافسة الفردية بعيد ا عن العصبية الجماعية ، ثم تنتقل قيادة الدولة إلى الجيل الثالث ، هذا الجيل الذي يتخلص من كل بقايا الجيل الأول ، و يمضي إلى الترف و لا يحافظ على الدولة ، ويمتاز هذا الجيل باللامبالاة ، فيكون بذلك سببا وتمهيدا لإنهيار الدولة و زوالها ، يقول ابن خلدون **<< و أما الجيل الثالث فينسون، عهد البداوة و الخشونة كأن لم تكن، و يفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، و يبلغ فيهم الترف غايته بما تبنقوه من النعيم و غضارة العيش ، فيصيرون عيالا على الدولة ، ومن جملة النساء و الولدان المحتاجين للمدافعة عنهم >>** [٤].

الجيل الثالث إذن هو الطوفان الذي يأتي على كل ما بناه الجيلين السابقين، و معه تزول الدولة.

. الجيل الرابع :

أما الجيل الرابع، فمعه ينقرض الحسب . وهكذا يعتقد ابن خلدون أنه قنن حركة التاريخ بتقنينه لمراحل قيام الدولة و زوالها. وتستمر محاولات تقنين الظاهرة التاريخية مع فيكو، إذ حاول هذا الأخير أن يؤسس قانون شبيه بالقانون الفيزيائي ، بحيث يظهر هذا القانون مراحل قيام الحضارة و سقوطها أو ما يعرف بالدورة الحضارية ، مبينا أن التاريخ البشري يسير على حتمية ثابتة، تتألف من ثلاثة عصور تتمثل في[٥] :

. عصر الآلهة :

و في هذا العصر تسود الخرافات و الأوهام و الأساطير ، ويسيطر على الناس الخوف الشديد من الظواهر الطبيعية، و يخضعون لسلطة الآلهة، معتقدين أنها الإرادة الوحيدة التي ليس بعدها إرادة .

. عصر الأبطال :

بعد نمو الوعي الإنساني بعض الشيء تنتقل البشرية إلى عصر الأبطال حيث يحكم رجال الحرب و السياسة السلطة ، منتزعين إياها من رجال الدين و الكهنوت ، و يتأسس بذلك نظام ارستقراطي مستبد ، يسخر هذا النظام لخدمة الطبقة الغنية ، وهذا ما يؤدي بدوره إلى خلق صراع بين الطبقة الحاكمة المستبدة و الطبقة المحكومة .

. عصر الإنسان :

ينتهي الصراع بين الطبقة الحاكمة و الطبقة المحكومة إلى ميلاد عصر جديد هو عصر الإنسان، و فيه يسود النظام الديمقراطي الذي يمجد الحريات الفردية و يساوي بين الناس في الحقوق و الواجبات. لكن هذا العصر يفتن بفكرة الحرية المطلقة، مما يؤدي إلى خلق الفوضى و تتلاشى الروابط الاجتماعية ، ويشتد الصراع بين الأفراد و الطبقات الاجتماعية معلنا بذلك انهيار الدولة و العودة إلى مرحلة الآلهة من جديد .

لكن هل يمكن التسليم بهذه التقنينات واعتبارها انعكاسا للحقيقة التاريخية و المنهج التاريخي ؟

إن أول ما يلحظ على القانون في التاريخ أنه يخرج من إرادة الباحث ويدخل في إرادة الإنسان، كما أن القانون التاريخي يسير بعكس القانون الطبيعي ، فإن كان القانون الطبيعي يوحد بين أبناء

البشر فإن القانون التاريخي يشتتهم و يفصل بينهم، لأنه يتناول الهوية . والاختلاف واضح بين العلم الطبيعي و التاريخ فهدف المنهج ليس واحد **<< فغاية العمل التاريخي هي بناء الطابع الفرداني ضمن سيرورة غير قابلة لعكس اتجاهها ، على العكس من ذلك العلم الطبيعي يعزل أنظمة مغلقة من أجل صياغة علاقات مجردة >>**[٦]. فالمؤرخ لا يسعى إلى استخلاص قوانين ثابتة من خلال دراسته ، و إنما يسعى إلى فهم الحركة التاريخية و استخلاص المسار الكلي الفرداني للظواهر المتنوعة.

إن ما أقترحه ابن خلدون أو فيكو لا يمكن أن يكون معيارا للحقيقة . و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف المنهج التاريخي في تحصيل الحقيقة ، فنحن نجد في تفسيرات ابن خلدون و فيكو اختلافا كثيرا فابن خلدون صاحب منهج المقارنة و النقد أعجزه منهجه في بلوغ الحقيقة ، ووقع في ما عابه على غيره، فهو بتسطيره لأجيال الدولة حتم عليها الزوال في الجيل الثالث . لكن كان من المفروض أن نفكر في استمرارها وليس العكس ، و من جهة ثانية هل كل دولة تزول في جيلها الثالث ؟ إن التاريخ في حد ذاته يكذب هذا فقد فاق عمر الدولة العثمانية أو العباسية الثلاث أجيال بكثير ، و عليه يتبين ضعف التفسير الخلدوني و فكرته في تقنين حركة التاريخ ، فإن كان هذا حال مؤسس المنهج، فكيف سيكون حال أتباعه ؟ لقد انتقد ابن خلدون بني هلال في كتابه المقدمة و أعتبرهم قوم بداوة، و لا شأن لهم بالحضارة ، و لو تتبعنا حركة ابن خلدون في تأريخه لسيرة بني هلال في المغرب سوف نجد أنه أبقى عليهم في الجيل الأول، و هو جيل البداوة، فأين الأجيال الأخرى في حديثه عن دولة بني هلالا في المغرب ؟ يقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله **<< ومن الأخطاء الشائعة أيضا ما يتناقله الناقلون عن بني هلال، فهم يروون الأخبار بل الأساطير عن همجيتهم و وحشيتهم ... و الواقع أن مساهمة بني هلال في تاريخ المغرب العربي ، بقطع النظر عن وجودهم السياسي ، كانت خيرا و بركة على المنطقة >>** [7].

إن تفسير فيكو للمراحل التاريخية التي مر بها العقل تبدو ضعيفة هي الأخرى ، لأنّ العقل لا يزل يجمع بين هذه العصور الثلاث في عصرنا هذا، و العصور التي بينها فيكو كحتمية للدورة الحضارية تفتقد إلى المصداقية الواقعية، لأننا حتى اليوم لم نلمس عودة الإنسان إلى عصر الآلهة و إن وجد ذلك فليس بالحدة التي تكلم عنها فيكو، و يبقى تفسير فيكو لحركة التاريخ مجرد تاريخ .هذه الانتقادات و غيرها جعلت بعض المفكرين يتجاوز فكرة المراحل التاريخية التي مر بها الإنسان أو حتى العقل الإنساني إلى البحث عن قانون يتعدى الحركة التاريخية ، باحثا عن المحرك الحقيقي للتاريخ و اخترنا النموذج العقلاني نظرا للأهمية البالغة التي أعطاها للعقل في

تفسيره للحركة التاريخية . محاولين بذلك أن نتعرف على مدى مصداقية هذا التفسير وقدرته على تقنين الحركة التاريخية .

٢ . التفسير العقلاني للتاريخ :

إن التفسير العقلاني للتاريخ يظهر وبقوة عند هيجل ، إذ تبنى هيجل فكرة المنطق الجدلي ، وبين من خلالها أن التاريخ يتحرك نتيجة لصراع الأفكار العقلية لذا لابد من الرجوع إلى العقل للوقوف على حقيقة هذا الصراع ، فالفكرة عند هيجل مثل النبتة التي لا تثبت على حال . فالزهرة تتحول إلى بذرة ، وهكذا تكون قد تحولت من حقيقة إلى حقيقة مغايرة ، و نظام الحكم المطلق في بعض الدول تحول إلى نظام ديمقراطي . لكن هذا التناقض الفكري لا يبعث الأشياء إلى التنافر ، بل يجعل منها كتلة منسجمة تظهر في شكل مركب جديد يتضمن الموضوع و نقيضه ، غير أن هذا المركب الجديد لا يعني السكون، لأنّ السكون تعبير عن الموت و عدم التطور، بل يتحول هذا المركب إلى موضوع جديد يحمل ضده ، وهكذا تتواصل الحركة التاريخية ، ويبقى الصراع مستمر بين الأفكار المتضادة .

إن العالم مبني – في نظر هيجل – على التناقض الذي يؤدي إلى الحركة والتطور، واستقراء التاريخ يبين أن البشرية تتقدم بفعل ورد فعل بين النزعات المتضادة، فعصور السلطة تتبعها عصور إباحية وفوضى، ومن الاثنين تنشأ مرحلة سامية من الحرية داخل السلطة ، وخير مثال على تطور حياة البشرية ذلك التطور الذي عرفه الإنسان اثر الصراع الذي قام بين الليبرالية والشيوعية ، لذلك كانت فلسفة التاريخ عند هيجل لا تهتم بالوقائع الجزئية ،لأنّ هذا يجعل الأحداث التاريخية مبهمة وغير مفهومة وغير معقولة ولا منطق لها ، وعلى هذا لابد من منطق يوصلنا إلى الحق هو منطق العقل الجدلي، يقول هيجل **<< إن الحق ليس مشتقا تجريبيا ، لكنه يضرب بجذوره العميقة طبيعة العقل نفسه >>** [٨] .

وما دامت كل فكرة في التاريخ و في العقل الإنساني تنمو و تتطور – لأنها تتضمن تناقضا بين طرفين متعارضين – فهي من جهة تحمل في طياتها مبدأ يؤكدها و يثبتها، وفي الوقت نفسه تحمل مبدأ نقيضها وهذا التعارض بين الفكرة و نقيضها يثير في الموضوع أزمة باطنية تجعل الموضوع يحدد ذاته و يتحقق من ماهيته أكثر، وبهذا يكون هيجل قد تنبه إلى أن النفي والتناقض هما المقولة المحركة للفكر و التاريخ . إذ ينتهي هذا الجمع أو المركب إلى ما يسميه هيجل الحركة الجدلية قدما إلى الأمام . و يصبح الجدل بهذا طريقة للتجديد والتفسير التاريخي ، ويصبح القانون التاريخي عند هيجل على النحو الآتي :

. **مرحلة الإثبات** : وفيها يقرر العقل وجود الموضوع.

. **مرحلة النفي** : وفيها يتضح للعقل أن هناك وجهة نظر مضادة فيتجه إلى النقيض.

ـ **مرحلة التركيب** : وفيها يتبين للعقل أن الموضوع وضده لا يبقيان منفردين، بل لابد من خلق انسجام بينهما ، وتأليف مركب جديد .

إن فهم حقيقة الكون وفقا لتفسيرات هيجل تقتضي مراعاة هذه الحركة الديالكتيكية ، فالحركة الجدلية لا تشتمل أو تفسر التاريخ فحسب بل تفسر حركة العالم بأسره، لأن العلم الطبيعي الذي نشهده و التطور الاجتماعي و الاقتصادي بل التطور الإنساني ككل يعود إلى العقل والوعي والإرادة يقول هيجل **<< و أساس هذا الوضع الأبوي هو العلاقات الأسرية التي تطور الشكل الأولي للأخلاق الواعية الذي يتلوه الشكل الثاني و هو أخلاق الدولة >>**[٩].

ففهم الكون يبدأ بالفكر وينتهي به ومنطلق هذه الحركة الواعية هو الأسرة ومنتهاها الدولة وجعل هيجل من العقل المبدع الحقيقي للأفكار ، وهذه الأخيرة تنزل من العقل إلى الوقع، فتتحول إلى إنتاج مادي ملموس و بفضل صراع الأفكار تطورت الحياة المادية، و تحرك التاريخ ، ولما كان العقل مبدع الأفكار التي تتسبب في حركة الوقائع التاريخية ، وجب أن نعود إليه لفهم هذه الحركة. وبهذا يعتقد هيجل أنه عقلن التاريخ وحرر من الأوهام و الأساطير و سيطرة المادة .

إن الدعوة إلى تحكيم العقل في التاريخ ضرورة من ضرورات الكتابة التاريخية – في نظر العقلانيين – هذه الدعوة تحث المؤرخ على التجرد من الأهواء و التعصب و تحرير التاريخ من التفسير الأسطوري اللاعقلاني ، فالتاريخ بمفهومه العقلاني الجديد يعد دعوة لإبراز الجوانب المضيئة للإنسان والمجتمع، وهذا ما نلمسه لدى جولدمان (Goldmann) الذي حاول أن يجعل من الدراسات التاريخية دراسات شبيهة بالدراسات الفيزيائية مبديا تأثره بفيزياء جاليلي و نيوتن ، فهو يؤكد أن المجال الإنساني جزء من ظواهر الطبيعة و يمكن إخضاع تاريخه إلى نظام العقل، و هذا الأمر طبيعي جدا ما دمنا نسلم بأن الإنسان جزء من الموجودات الفيزيائية[١٠].

وهكذا يتأكد اتحاد التاريخ بالعقلانية التي رسم ملامحها ديكارت ، وأكدها أتباعه فيما بعد في محاولة لتحويل التاريخ، و تحليل الحدث التاريخي إلى قانون رياضي حتى تكون الحقيقة التاريخية في مستوى الدقة المطلوبة .

يريد العقلانيون أن يجعلوا من المنهج الرياضي القائم على التأمل مرحلة ضرورية لكل باحث في التاريخ ، ذلك أننا نحتاج فيما بعد لإسقاط المسائل الرياضية على الحوادث التاريخية من خلال عمليات الإحصاء و ضبط السنوات وتفسير المنحنيات البيانية [١١].

لكن هل من الممكن أن تكون الحقيقة التاريخية في مستوى الحقيقة الرياضية أو تدنو منها ؟

لنتأمل عقلانية هيجل في تفسير التاريخ ، ألا تحتوي هذه العقلانية على بعض التناقضات ؟ يتضح هذا من قول هيجل بأن الفكرة تتحرك باجتماعها مع نقيضها وهذا أمر لا يسلم به العقل و لا يعترف به منطق ، لأنّ الأفكار في كثير من الأحيان يبنيها العقل، ويقرر نجاحها دون أن يكون بحاجة إلى معرفة النقيض .فهل العقل مجبر على معرفة الحكم الديكتاتوري حتى يتعرف على الحكم الديمقراطي ؟ وهل كان أفلاطون حين تطرق لأنواع الحكم مضطرا لدمج الديمقراطية بنقيضها حتى يتعرف على أنواع الحكم الصائب ؟ ثم إذا كان العقل يؤسس الفكرة ، وبعد ذلك ينتقل إلى نقيضها . ألا يعد هذا عجزا على مستوى العقل ؟ لقد أصبح العقل هنا خاضعا لسلطة الواقع و أصبحت التجارب المادية هي التي تحكم حركة العقل و هذا ليس من مسلمات العقلانية. هذا ويكذب منطق الواقع نظرية هيجل . فهل الليبرالية اليوم محتاجة إلى نقيضها حتى تثبت جدارتها على أرض الواقع ، لا أعتقد ذلك، لأنّ الليبرالية اليوم تحكم غيرها في غياب النقيض، والتاريخ حتى الآن يؤكد أنّ المركب بين الليبرالية و الشيوعية لم يولد بعد .

إن التفسير العقلاني الذي نادي به ديكارت من قبل، يحتم على العقل بلوغ اليقين بتحليل الموضوع بعيدا عن نقيضه على عكس ما ذهب إليه هيجل . هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن السمو بالتفسير التاريخي إلى نمط المنهج الرياضي يجعل من التاريخ علم إحصاء فيفقده بذلك روحه الإنسانية ، ثم إن التفسير العقلاني للتاريخ تجاوز حقيقة المادة و أثرها في تحريك عجلة التاريخ .

إن العلاقة بين الرياضيات و التاريخ تظهر جليا في الدراسات الحديثة و التعارف بينهما قائم، لكن الصعوبة الكبرى التي نلمسها في هذا التعاون تنجم عن الطابع الكيفي للظواهر التاريخية. وعلينا أن نحول هذه الدراسات إلى معالجة كمية ، ونحن هنا نخادع إما أنفسنا، و إما نخلي الدراسات التاريخية من مضمونها و محتواها . ونحاول أن ننقلها من الوجود الفعلي إلى الوجود بالقوة.

إن عجز التاريخ عن بلوغ القانون العام الذي بلغته العلوم الطبيعية يعود إلى عامل هام أهمله الكثير من المؤرخين و الفلاسفة على حدّ سواء ، هذا العامل يتمثل في المصادفة . **إن المصادفة مشكلة حقيقية في الدراسات التاريخية. فهل يمكن للمنهج التاريخي أن يتجاوزها؟**

٣ . المصادفة كمعادلة أساسية في الدراسات التاريخية :

المصادفة مبدأ تخضع له بعض الحوادث ، وهي تلك التي تحدث دون سابق توقع ، ويطلق عليها حوادث المصادفة ، وهذه الحوادث تنفلت من قبضة المنهج العلمي ، والمصادفة بمعناها الفلسفي **<< نوع من الحوادث المتأتية عن تساوق أو التقاء ظواهر تنتمي إلى مجموعات مستقلة عن نظام العلية >>**[١٢].

ونحن ندرك جيدا أن العلية مصادرة أساسية من مصادرات المنهج ، لقد حاول هيجل أن يضع التاريخ في دائرة القانون بتأسيسه لدولة القانون، أو ما يعرف بدولة الحق ليقضي بذلك على فكرة المصادفة في الحادثة التاريخية ، لكن النيتشاويين ثاروا ضد هذا الطرح، ليثبتوا فكرة نيتشه التي ترفض عقلنة التاريخ ، و يدافعوا عن فلسفة القوة بعيدا عن كيان العقل .**<< لأن التاريخ أكثر مأساوية وأقل اطمئنانا ، باختصار فهناك العقل وهناك اللاعقل ، هناك فلاسفة ركزوا على العوامل العقلانية و أعطوها ثقتهم و هناك فلاسفة ركزوا على العوامل اللاعقلية و دورها في تذبذب الحركة التاريخية و تغيير مسارها >>**[١٣] .

و ما يؤكد تدخل المصادفة في الحركة التاريخية ما حدث في الحرب العالمية الثانية ، فمن كان يعتقد أن هتلر سيتلقى هزيمة شنعاء أمام الاتحاد السوفياتي لتدخل العامل البيئي ، الذي لم يكن في الحسبان . فخضوع الحركة التاريخية للعوامل المناخية أحيانا ، يجعل العقل والمنهج عاجزين عن الإحاطة بكل أسباب الظاهرة ومن ثمة العجز عن توقع نتيجة حتمية ، و تأسيس قانون عام يحكم الظاهرة. وهكذا يتضح انفلات الحادثة التاريخية من كل مصادرات المنهج والمتمثلة في النسق والاطراد والعلية .

إن الفلسفات التي تدافع عن العقلانية الكانطية و الهيجلية في تفسير حركة التاريخ تعبر عن حب البعض للأخلاقيات الكانطية ، لكن يبدو أن فلسفة نيتشه أقوى واقعيا من عقلانية كانط ، حتى وإن أراد أصحابها غير هذا ، إن فكرة بناء وتأسيس حركة عقلانية للتاريخ بعيدا عن المصادفة فكرة تبدو بعيدة إلى حد كبير عن الواقع .

إن فكرة المصادفة في التاريخ تؤكد أن أفكار نيتشه تعتبر الكاشف الأكبر عن انحراف مبادئ التنوير – التي أرادها ديكارت و كانط و هيجل – عن مسارها، وعن الملابسات السلبية للحداثة الوضعية التي تبناها أيضا أوجيست كونت . فالتاريخ لا يسيره العقل فقط كما كان يعتقد هيجل و كانط ، و إنما تتدخل في تسييره قوى لا عقلانية جامحة تربص في أحشائه ، وهذا ما حمل المفكر هرنشو على التأكيد بأن كل واقعة من وقائع التاريخ قائمة في ذاتها، و لا يمكن تصور ظروف مشابهة يتكرر فيها الحدث التاريخي ، فضلا عن أن المادة التاريخية مركبة تركيبا لا نهاية له ، وهذا ما يجعل كل مجهود يرمي إلى إقامة قانون تاريخي مجهود غير واع و داعيا إلى السخرية[١٤].

لقد صرح ميشال فوكو في أكثر من موضع أن العقل في الدراسات الإنسانية خاضع لملابسات الأنانية و المصالح و الشهوات السلطوية ، وهكذا تحول المنهج في التاريخ إلى مجرد نظريات يتبناها المفكرون و يعجز عن ممارسته المؤرخون وهذا ما نستشفه في اعتراف المؤرخ الألماني ليبولد رانكي أين يقول **<< يظهر لي (يعني كتابه) أكثر كمالا قبل طبعه منه الآن بعد طبعه ، ومع ذلك فإني معتمد على القراء الذين سيغضون النظر عن نقائصه أكثر من إعتمادي على إمكانية فضائله . إنني اعرف إلى أي مدى عجزت دون تحقيق هدفي ، لكن على المرء أن يسعى و يناضل و ليس عليه أن يحقق هدفه ...لأن أهم شيء هو دائما الموضوع الذي نتناوله و هو الإنسانية كما هي ممثلة في حياة الأفراد و الأجيال و الأمم ، و في بعض الأحيان ممثلة في قدرة الله التي هي فوق الجميع >>**[١٥] .

نلمس في هذا القول الخروج من الحالة الوضعية، و العودة إلى الحالة اللاهوتية والاعتراف بتدخل المصادفة و يد الله في تسيير حركة التاريخ ، كما أننا نلمس في هذا القول إعتذارا واضحا لهذا المؤرخ بعجز منهجه عن بلوغ الحقيقة التاريخية.

إن التاريخ في واقع الحال لا يصل إلى قوانين رمزية ثابتة ، و إنما يصل إلى قوانين سببية متغيرة في الزمان و المكان فالحقيقة التاريخية لا تلبث على حال ، و لعل إعتذار هدا المؤرخ الألماني يشير إلى قضية مهمة و هي تدخل الإردة الإلهية في تحريك الأحداث التاريخية ، وكما نعلم فإن الإرادة الإلهية تتجاوز المعايير المنطقية و العقلية ، فهي قادرة على الجمع بين النقيضين و تجاوز كل الحتميات .

إن المؤرخ كلما وصل إلى نقطة في التاريخ إعتقد أنها النهاية ، لكن يفاجئ في كثير من الأحيان و بمرور مدد زمنية بظهور وثائق جديدة بعد طول إختفاء لأسباب إيديولوجية أو سياسية

أو غيرها فيعيد المؤرخ النظر في منهجه، وكذا الحقائق التي سبق و أن توصل إليها و ربما يضطر إلى إلغائها .

٤ . التأويلية كمنهج جديد في المساءلة التاريخية:

ولتجاوز مشكلة المصادفة و الصعوبات التي ذكرنها سابقا نشأت التأويلية كمنهج فلسفي وعلمي لبلوغ الحقيقة التاريخية ونقلها إلى دائرة العلم و يصعب علينا تحديد بدايات التأويل في الخطاب ، وإن كان نضج المنهج التأويلي واضحا مع شيلر ماخر(.Schleiermacher) أو دلتاي (Dilthey) أو غدمار(Gadamer) وغيرهما ، فإن التأويل(Anagogique) يمتّد إلى الفلسفات الحديثة خاصة مع كانط وما قبلها ، وجاء المنهج التأويلي كمنهج بديل في دراسة الظواهر الإنسانية عموما والظاهرة التاريخية على وجه الخصوص ، والتأويل يعني صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله لوجود رابطة بين الاثنين.

والهدف من التأويل هو التعمق في المعنى ، لذا كانت اللغة آلية مهمة في عملية التأويل والتأويل كمنهج علمي في دراسة الظاهرة الإنسانية، يحتاج إلى عملية أخرى لا تقل أهمية عن التأويل في حد ذاته ، و تتمثل هذه العملية في التحليل، لأنّ الباحث المؤول يجب عليه . قبل تأويل النص أو الواقعة . تجزئة البحث إلى عناصره و مكوناته، وتجزئة الفرضية إلى حدودها الأساسية ، وعلينا أن نلتزم الدقة في أثناء ترتيب المعطيات و تهيئتها فنحن أثناء دراستنا لظاهرة إنسانية ما نعمل على التحليل، وعلى تجزئة الواقع ، و ذلك بعرض كل الملاحظات والعلاقات السببية أو التبعية المتبادلة بين المتغيرات الواقعية للوقوف على الروابط بين مختلف الظواهر و يتحول التحليل عندئذ إلى **<< عملية ذهنية تتضمن تفكيك الواقع إلى عناصره بهدف معرفة طبيعته >>** [١٦].

وتجدر الإشارة إلى أن عملية التحليل يجب أن تقتصر على الأجزاء التي تخص الظاهرة التي نحن بصدد دراستها فقط، لأنّ البحث عن كل الروابط والعلاقات بين الظواهر قد يكون أوسع من طاقة الباحث، و نحن من خلال عملية التحليل نبحث عن دال ومدلول، ومن هنا تتعدى عملية التحليل إلى عملية التأويل. فالتأويل على هذا النحو يصبح **<< استدلال يهدف إلى إعطاء دلالة للتحليل >>**[١٧].

وإن كان للتحليل أصناف، كالتحليل الوصفي، و التحليل التفسيري، فإن التحليل المرتبط بالتأويل هو التحليل الفهمي وهو **تحليل يهدف إلى فهم الواقع من خلال معاني يعطيها الأفراد لتصرفاتهم.**

يقودنا التحليل مباشرة إلى البحث عن المعنى، و هو دخول غير مباشر في عملية التأويل و لهذه العملية بالغ الأثر و الأهمية في الدراسات التاريخية ، لأننا في الدراسات التاريخية نتعامل مع الخطاب أكثر من تعاملنا مع الأفراد ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل عملية التأويل عن التحليل ، فإذا كان هدف التحليل الوصول إلى العناصر المكونة للواقعة فإن هدف التأويل هو اكتشاف الروابط بين مكونات هذه العناصر .

وإننا نلمس في كتاب الحقيقة و المنهج لغدمار (Gadamer) التفصيل الكامل للتأويلية و روادها و آلياتها في بلوغ الحقيقة التاريخية بصفة خاصة و الإنسانية بصفة عامة ، و أبدى غدمار إعجابه بإسهامات شيلرماخر(Schleiermacher) و دلتاي في تأسيسهما للمنهج التأويلي ، رغم انتقاده لهما في بعض النقاط ، و يعتقد شيلر ماخر أن الفهم هو أساس التغلغل إلى عمق الظاهرة التاريخية واستئصال حقيقتها ، و التأويل هو طريقنا للفهم ، ويجب أن ندرك أن عملية التأويل تفرض على الباحث أن لا يكون معاصرا، لأنه يجب أن يعيش الظاهرة التي يدرسها على سياقها الزماني ووفق مقتضياتها وهذا مبلغ التأويل. فنحن نبحث في المعاني عن الروح الحقيقية التي سادت في عصرها يقول غدمار **<< كنا قد رأينا أن نموذج التأويلية لدى شيلر ماخر هو الفهم المتجانس روحيا الذي يمكن أن يتحقق في العلاقة بين الأنا و الأنت ، فالنصوص قابلة لأن تفهم فهما تاما بالضبط كما الأنت ... فالمؤول معاصر بكل ما للكلمة من معنى لمؤلف النص وهنا يكمن انتصار منهج الفيلولوجيا أي فهم عقل ينتمي إلى الماضي كعقل حاضر>>**[١٨]. فنحن من خلال معاصرتنا للوثيقة التاريخية نبعث فيها الحياة و نطور الخطاب الثابت .

ويستمر تطور المنهج التأويلي مع دلتاي الذي يعد التاريخ علم يتطلب التأويل منهجا لفهم ظواهره ، والشرط الأول لإمكانية علم التاريخ هو أنني أنا نفسي كائن تاريخ و الشخص الذي يدرس التاريخ هو الشخص الذي يصنعه.

في هذا الرأي دعوة من دلتاي للباحث في الظاهرة التاريخية في أن يتقمص الظاهرة التاريخية، و ينسجم معها انسجاما تاما إلى درجة، وكأنه يعيشها مباشرة حتى يتسنى له تأويلها، و من ثمة فهمها و بلوغ حقيقتها ، وإن اتفق دلتاي مع شيلر ماخر في ضرورة التأويل كأساس للفهم فإن الاختلاف بينهما ظاهر في تجانس الذات مع الموضوع، لأنّ دلتاي يشدد من هذا التجانس إلى درجة انصهار الذات في الموضوع . فالعلوم الإنسانية بما فيها التاريخ تتأسس على معادلة مهة تتفاعل فيها التجربة المعيشة و التعبير و الفهم وإدراك حقيقة الوقائع التاريخية مرتبط بالعمق الذي

تعطيه الذات لهذه الوقائع من خلال تجاوز السطحية إلى المعاني الباطنية لهذه الوقائع ، وهذا الأمر يحتاج إلى اتساع الفكر والفهم والقدرة على تأويل العلاقات التي تربط بين عناصر الظاهرة.

إن التاريخ حينما يعمل على ترجمة الأحداث و الشخصيات التاريخية فإنه يعمل على كشف انطباعات الحياة الحقيقية حتى و إن كانت هذه الانطباعات في طي النسيان، ومن هنا نكتشف ضرورة العلاقة الحيوية بين الذات و مختلف الوقائع التاريخية.

وهذه العلاقة ستتلاشى و تضمر إن كانت الذات عاجزة عن الفهم و التعبير و التأويل ومن هنا تحجب عنا المعرفة التاريخية .

إن دلتاي ينطلق من تجربة الفرد الذاتية التي يكتسب بها استمرارية حياته ليؤسس على أنقاضها معرفة تاريخية بحيث يصبح فيها الماضي و الحاضر شيئا واحدا ، و ما يجمعهما هو قدرة الذات ومعرفة الروابط المشتركة بين الحاضر و الماضي على آلية الفهم والتأويل والحياة في حد ذاتها تتحول مع دلتاي إلى بنية تأويلية وهي الأساس الحقيقي للعلوم الإنسانية .

ويعتقد غدمار أن هذا التجانس أمر غير متاح ، بل إنه يحوّل الدراسة التاريخية كليا إلى دراسة نفسية ، و يجعل الذات بعيدة كليا عن حاضرها، و إذا كانت الذات الباحثة مطالبة بالرحيل إلى الماضي فإنها ليست مطالبة بأن تجعل نفسها محتواة في الماضي إلى حد التوافق والانسجام، يقول غدمار **<< ومع ذلك فإن هذا ليس حلا للمشكلة التي أثارها دلتاي ، بل إن طرح التجانس شرطا لهذه المعرفة يحجب مشكلة التاريخ المعرفية فالسؤال هو كيف يمكن لتجربة الفرد و معرفة هذه التجربة أن تكون تجربة تاريخية فنحن لا نعنى في التاريخ بالكليات المنسجمة التي يختبرها الفرد بحد ذاتها ، ويعيد اختبارها آخرون >>**[١٩].

التأويلية في فلسفة غدمار لا يجب أن يبالغ فيها إلى هذا الحد، لأنّ الفرد كبنية نفسية يكتسب شخصيته و فرديته عبر تجاربه التي تنتجها الظروف التي يعيشها، وليس التي عاشها غيره ، وهنا تكمن ضرورة التأويل ، فنحن نعمل على تأويل ما لم نعشه ، أما ما نعيشه، فإننا ندركه مباشرة . فضرورة التأويل تكمن في قدرة الفرد على تحليل الأنت دون تجاوز الأنا .

ومن خلال العلاقة بين الأنا و الأنت تتأسس الدلالة ، التي تعطي للظواهر معناها الحقيقي و ترتبط بهذا الدراسات الإنسانية و التاريخية بالفيلولوجيا ، فكما أن طبيعة فن الفيلولوجيا(الدلالة) تعني الفهم خلال سياق ما ، كذلك تعني طبيعة البحث في الطبيعة فك شفرة كتاب الطبيعة وإلى هذا الحد يكون المنهج العلمي قائما على الفيلولوجيا.

لقد تحولت الدراسات التاريخية مع شيلر ماخر و دلتاي و غدمار إلى نص ، فكل وثيقة أو أثر يدرس دراسة نصية خاضعة للتأويل ، لكن هذه الدراسة تحتاج إلى الغوص في نفس مؤلفها في محاولة لكشف النوايا الحقيقية التي أدت إلى الفعل ، وعلم التأويل ليس مجرد مرحلة من مراحل تاريخ الفهم ، بل إنه الفهم في حد ذاته فهو تأمل نظري ووسيلة تقنية لتحصيل فن الفهم ، و التأويل بهذا المعنى تحول إلى تقنية منهجية لبلوغ حقيقة النص التاريخي.

وباعتماد التأويل القواعدي الذي يهتم بالمعنى عموما و التأويل النفسي الذي يتوغل في الذات يمكن أن نقف على الحقيقة التاريخية يقول غدمار عن التأويل النفسي **<< وهي أساسا عملية إلهامية ، ينزل فيها المرء نفسه ضمن الإطار الكلي للمؤلف و إدراك للأصل الباطني لعملية تأليف عمل ما ، وإعادة إبداع للفعل الإبداعي ، و هكذا فإن الفهم هو إعادة إنتاج لعملية إنتاج أصلية ... وإعادة بناء تبدأ من لحظة التصور الحيوية أي من القرار الأصلي بوصفه المركز المنظم لعملية التأليف >>** [٢٠].

ونستنتج من كل ما سبق أن المنهج التأويلي إما أنه يحوّل الدراسات التاريخية إلى عملية فنيّة أساسها التأويل و تقمص دور الغابرين ، أو أنه يحوّل الفن إلى علم و لا أجد فرقا بين الاثنين. لكن هل للمنهج التأويلي استطاع أن يصل . على هذا النحو. إلى فك شفرة التاريخ ؟

الإجابة عن هذه المشكلة تجعلنا نبحث عن النقائص الموجودة على مستوى المنهج التأويلي وفي بدايتها اعتراف دلتاي بقدرة المؤول على فهم القوانين النفسية للآخرين ودعوته للذات في أن تنصهر في الموضوع و تكون جزء منه ، لأن في هذا الأمر كثير من المبالغة و خروج عن المنهج الاستقرائي العلمي ، وإن كان ما طلبه دلتاي مشروع من الوجهة النظرية فإنه غير متاح من الوجهة التطبيقية ، لأن الذات لا يمكن لها أن تغيب كيانها و تنصهر في الموضوع أو الآخر لتقف على النوايا الخفية لصاحب الفعل التاريخي وإن كان دلتاي يدعونا إلى تقمص أنفس ليست أنفسنا ، فإنه بطريقة غير مباشرة يلغي ذواتنا بالإضافة إلى أن دلتاي تجاهل غموض الأنت.

إن مشكلة التاريخ الحقيقية ليست مشكلة غموض التاريخ في حد ذاته بقدر ما هي غموض الأنت أو صانع الحدث التاريخي الذي نتعامل معه كنص تاريخي .

ويمكن أن نقول إن مشكلة المنهج في التاريخ بقيّت قائمة مع المنهج التأويلي ، وإن كان لهذا المنهج إسهاماته في كشف بعض الحقائق التاريخية فإن له سلبياته التي لا يمكن إغفالها، لأن الغوص في عمق النص أو الوثيقة التاريخية و كشف حقيقتها متوقف على الوثائق أو المعطيات

الممنوحة للمؤرخ ، فالمؤرخ لا ينتج هذه الوثائق و إنما تمنح له و كذبها أو تحريفها يؤدي بالضرورة إلى فساد عملية التأويل .

إن تأويل الخطاب ينقل المؤرخ من مجال العلم القائم على القانون الرمزي إلى مجال أقل يقينا ، وهو مجال اللغة **<< و لن يكون التاريخ عندئذ سوى قاعدة ما يدعي العلوم الإنسانية ، التي بدأت تنفض الإدعاء العلموي ، لتوفر أنماط التأويل اللازمة لظواهر تنغرس بالضرورة في التاريخية. والمؤرخ لا غنى له عن تلك النماذج المفهومية التي هي نتاج التعامل المبني مع الأحداث الفردية >>**[٢١] .

ولم يعد التاريخ اليوم علم مرتبط بالأحداث الإنسانية الماضية فحسب ، بل أصبح مرتبط بالأفق التأويلي ، و هذا ما يجعل المنهج و الحقيقة في علم التاريخ رهينة الأذواق و الاختلاف ، وإذا كنا في كثير من الأحيان نعجز عن تأويل خطاب مجتمعنا الراهن و نعجز عن التواصل مع بعض الأفراد . فكيف لنا أن نحسن تأويل لغة الغابرين وكيف لنا أن نفك طلاسم الماضي ؟ لذا بقيت بعض الحقائق في بعض الحضارات بعيدة عن فهم الإنسان حتى أيامنا هذه .

إن اللغة في الحقيقة تظهر أحد مظاهر الثقافة ، ومفهوم الثقافة يدل على التغيّر الثقافي العميق، لذا فإنه يتوجب علينا أن نفهم سلوكات وثقافات الأمم الماضية حتى يتسنى لنا تأويلها على أحسن حال وهذا الأمر ليس بالهيّن، وغدمار في حد ذاته يعترف بصعوبة هذا الأمر يقول في ذلك **<< وقد اكتسبت المفاهيم و الكلمات الأساسية التي ما زلنا نستخدمها طابعها ، فإذا لم تكتسحنا اللغة ، وإنما كنا نكافح من أجل فهم ذاتي تاريخي معقول يجب أن نجابه جمهرة من الأسئلة عن التاريخ اللفظي و التصوري ، وفيما يلي ليس بوسعنا غير الشروع بالمهمة الكبيرة التي تجابه الباحثين كمهمة تعسف بحوثنا الفلسفية ، تتضمن مفاهيم من قبيل ، فن ، تاريخ ، إبداع ...و تعبير و أسلوب و رمز هذه المفاهيم التي نتبناها كمفاهيم بديهية تتضمن ثروة التاريخ >>**[٢٢].

يتّضح من هذا القول أنّ غدمار يريد للمؤرخ أن يكون بحرين بحر من علم و بحر من فن . فهل يستطيع عقل المؤرخ لهذا الأمر طلبا؟

إن انطواء الدراسات التاريخية تحت التأويل اللغوي يضعف من المنهج العلمي، ويسهل تزييف الحقيقة التاريخية. وليس العكس وتبقى التأويلية مجرد محاولة فلسفية للتقريب الحقيقة التاريخية من الحقيقة العلمية ليس إلا.

الخاتمة:

إن الفرق شاسع بين عقلانية المنهج والنتيجة في العلوم الطبيعة وبين عقلانيته في علم التاريخ ، بل إن الظاهرة التاريخية تحتم على المنهج أن يكون مرنا كالنابض الذي يتأقلم مع كل وضع جديد وعقلانية المؤرخ يجب أن تتحدد بإيمانه بإحتمال تغير نتائجه وعدم ثبات حقائقه ، وهذه روح التاريخ الحقيقة ، و بهذا تنتفي قواعد المنهج العقلاني– و المتمثلة بخاصة في الوضوح والبداهة والقانون – في الظاهرة التاريخية خاصة على الصعيد التطبيقي ، ولو تتبعنا الحقيقة في الرياضيات و العلوم الطبيعة لوجدناها تميل إلى السبات ، وإن أصابها تغيير فإن هذا التغيير يكون بمنزلة تطور و تعديل ، لكن الحقيقة التاريخية تظهر و تنتفي في كثير من الأحيان وهذه الحركة في الحقيقة التاريخية تجعل من الدراسة التاريخية بعيدة عن الإحصاء و الاستقراء الرياضي الذي أصبح معيارا لليقين.

وفي النهاية يتضح جليا أن فكرة المصادفة أبعدت نوعا ما الدراسات التاريخية عن التنبؤات العلمية التي تتخذ من القانون العلمي أساسا لها ، ومن هنا يختلط التفسير الفلسفي الذاتي مع التفسير العلمي في الدراسات التاريخية ، وعلينا أن ندرك مبلغ الصعوبة في دراسة الظواهر التاريخية، وعلينا أيضا أن نعترف بالمعانات التي يواجهها المؤرخون في بناء الحقيقة التاريخية .

الهوامش والمصادر:

[١]- أبو القاسم سعدالله: آراء و أبحاث في تاريخ الجزائر ، دار المغرب الإسلامي بيروت ، ١٩٩٩، ص ٥٤

[٢] . ابن خلدون : المقدمة ، د ط، دار الفكر بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٧١

[٣] . نفسه ، الصفحة نفسها

[٤] . نفسه : الصفحة نفسها

[٥] . خالد فؤاد طحطح في فلسفة التاريخ منشورات الاختلاف ط١ الجزائر ٢٠٠٩ ص٩١

[6]-Raymond Aron : La philosophie critique de l'histoire, Librairie philosophique J.Vrin. Paris. France. 1969 P 124

<< La fin du travail historique , c'est la reconstitution de la totalité singulière dans son devenir irréversible. Au contraire , une science physique isole des systèmes clos pour formuler des relation obstraites . >>

[٧]- نقلا عن : أبو القاسم سعد الله : آراء و أبحاث في تاريخ الجزائر ، ص٨

[٨] . هيجل: أصول فلسفة الحق ،ج١ ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،١٩٩٦ ، ص٣٢

[٩] . هيجل : محاضرات في فلسفة التاريخ ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، ج١، د ط ، دار الثقافة ، القاهرة.١٩٨٦ ص ١١٣

[١٠] . عبد الرزاق قسوم : فلسفة التاريخ من منظور إسلامي ، ط١، دار الكلمة للنشر و التوزيع، مصر، ٢٠٠٥ ص ١٢٥، ١٢٦

[١١]. الفرد نارسكي : مقدمة للمنطق ومنهج البحث في العلوم الاستدلالية ، ترجمة عزمي إسلام ، الهيئة المصرية العامة ، للتأليف و النشر ، ١٩٧٠، ص ٥٩

[12]-André Lalande: vocabulaire technique et critique de la philosophie. P.U.F.Paris.18em.édition.1996P.405

[١٣]- السيد ولد أباه : التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو ،الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٤، ص٦٠

[14]. هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، القاهرة ، لجنة التأليف و الترجمة والنشر ، د ت ، ص١١

[15]- أبو القاسم سعد الله : آراء و أبحاث في تاريخ الجزائر ، ص ٥٤

[١٦]- موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. ترجمة بوزيد صحراوي، كمال بو شرف، سعيد سبعون، د ط ، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٦ . ، ص ٤٢٢

[١٧]. آن إينو: تاريخ السيميائية ، ترجمة رشيد بن مالك ، د ط، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح ،جامعة الجزائر و دار الآفاق، ٢٠٠٤ ، ص٨٦

[١٨]. غدمار: الحقيقة و المنهج ،، ط١ ، ترجمة حسن ناظم و علي حاكم صالح ، دار أويا للنشر و التوزيع ، طرابلس ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٣٧، ٣٣٨

[١٩].بشير خليفي : الفلسفة و قضايا اللغة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ٢٠١٠ ، ص ٢٤

[٢٠]. السيد ولد أباه : التاريخ و الحقيقة لدى ميشال فوكو ، ص ٤١

[٢١]. غدمار : الحقيقة والمنهج ، ص ٥٧

[٢٢]. أبو القاسم سعد الله: آراء و أبحاث في تاريخ الجزائر ، ص ٥٤